كيف يتخلص البطل ؟

بقلم يوسف الشاروني

شغلني دائما ذلك النموذج الذي يصور الانسان خلال رحلته البشرية ، مكافحا من اجل الوصول الى هدفه ، مناضلا ضد ما يعترضه من عقبات ، بعضها يهدده وبعضها يغريه ، لتعوقه عن مواصلة رحلته ، وعن الاستمرار في التقدم نحو غايته .

ولا شك ان يوليس ، كما صوره هومير في القرن التاسع قبل الميلاد وفي الاوذيسا على وجه الخصوص ، هو النموذج الاغريقي لهذا البطل الذي اعنيه ، فهو يمثل انتصار الانسان على مختلف القوى ، وذلك اثناء عودته بعد انتهاء حروب طروادة التي اشترك فيها .. الى زوجته الجميلة بنيلوب ، وهي تنتظره مخلصة مع ابنها تليماك في وطنه اتيكا .

ويقدم لنا جون بنيان في القرن السابع عشر الميلادي في كتابه « سياحة الحاج » نموذج العصور الوسطى المسيحية ممثلة في شخص بطل القصة وقد اطلق عليه اسم « المسيحي » وهو انسان ترك مدينة الظلام بمن فيها حتى اولاده ليقوم برحلة طويلة في طريقه الى المدينة السماوية ، وهو يلقى في رحلته الاهوال والمغريات ، كما لقيها يوليس ، وهو ينتصر عليها واحدة بعد الاخرى .

وتقدم لنا قصة على الزيبق المصري بن حسن راس الغول — وهي التي الفت غالبا في عصر المماليك .. ووردت رواية صغيرة لها في الف ليلة وليلة الى جانب السيرة الطويلة الخاصة بها . (١) اقول ان هذه القصة تقدم لنا النموذج المصري للبطل الذي اعنيه فهو يتغلب على ما يلقاه من عقبات ومغريات في سبيل الاستيلاء على الدرك — اي على رئاسة الشرطة — في مصر اولا ، ثم في دمشق ، حتى يصل الى منصب رئيس الدرك في بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية ايام هرون الرشيد كما ورد في السيرة ، يبغى من وراء ذلك نشر العدل بين الناس في زمن كان الاستبداد والظلم فيه سائدين .

وبدراستنا لهذه الاعمال الادبية الثلاثة ، نجد ان البطل يتخلص في كل منها بطريقة من ثلاث : اما بمساعدة قوى خارقة للطبيعة كالالهة « في الاوذيسا » او المعجز (في سياحة الحاج) او الجن « في على الزيبق » ، واما بالقوة الجسدية الهائلة التي يتصف بها البطل ويتفوق بها على من حوله من الحيوان او من الرجال سواء اكانوا قلة اشداء ام كثرة ، وفي هاتين الحالتين لا نشعر بتعاطف انساني مباشر مع البطل لان طرق التخلص هنا بمنأى عن قدارتنا الانسانية .

اما حين تواجه البطل قوى لا سبيل الى استخدام قوته الجسدية ازاءها ، ولا تجده في الوقت نفسه قوى خارقة للطبيعة ، فان البطل يصبح انسانا مثلنا وعليه ان يتصرف بخير طريقة يمكن ان يقدمها نموذجا لنا ، انه ما يزال تصرفا بطوليا ولكن في نطاق انساني ، اي في نطاقنا نحن .

وسنعرض اولا لثلاثة مواقف متشابهة في الاعمال الادبية الثلاثة التي ذكرتها ، لنرى كيف تخلص البطل في كل منها بدون معونة من قوة خارقة للطبيعة وبدون استخدام قوة جسدية متفوقة . اما هذه المواقف الثلاثة فهي : سجن يوليس في كهف السيكلويس ، وسجن المسيحي في قلعة الشك وسجن على الزيبق في القلعة المرصودة « والمكان المرصود في ادبنا الشعبي هو المكان الذي تقوم عليه حراسة سحرية بحيث اذا اقترب منه شخص تعرض للخطر » .

فعندما دخل يوليس ورفاقه في كهف السيكلويس الجبار ذي العين الواحدة نجد انه كان قد حمل معه في السفينة خمرا معتقة لا يستطيع انسان ان يقاوم اغراءها . وقد طلب منه رفاقه ان يخرج قبل مجيء السيكلويس ، وان يكتفي باخذ بعض الجبن والخراف من الكهف الى السفينة ولكنه اصر على انتظاره لكي يطلب منه هدية . وعندما اتى السيكلويس وبدت قسوته واخذ يلتهم رجال يوليس زوجا زوجا فكر يوليس في قتله اثناء نومه ، ولكن السيكلويس كان يسد باب الكهف بحجر كبير لا تستطيع عشرون فرقة تحريك مثله مما كان معناه موت يوليس ورجاله بطريقة افظع . وعندما خرج السيكلويس في الصباح اعد يوليس عصا طويلة من جذع زيتونة وجده بالكهف ، وحين عاد السكلويس اغراه يوليس بان يحتسي مما معه من خمر . واثناء احتسائه الخمر سأله عن اسمه فقال يوليس ان اسمه : لا انسان .

حتى اذا ثمل السيكلويس دس يوليس ورفاقه العصا في الفحم المتقد الى ان احمرت وكادت تلتهب ثم اخرجوها من النار ودسوها في عين السيكلويس .

وصاح السيكلويس في اعماق الليل على رفاقه حتى ايقظهم وتجمعوا على باب الكهف يسألونه عما به فقال لهم ان لا انسان يقتله ، فاجابوه انه اذا لم يكن هناك انسان يقتله فانهم لا يستطيعون ان ينقذوه مما تفعله الالهة به . وهكذا تفرق رفاقه . ثم دحرج السيكليوس الحجر الكبير الذي كان يسد باب كهفه وجلس خارجه ليقتفي اثر

١) لهذه السيرة اكثر من طبعه وقد اعتمدنا على طبعة مكتبة صادر بيروت عام ١٩٣٠

يوليس ورفاقه اذا هم حاولوا الخروج . وتحايل يوليس على ذلك بان ربط كل ثلاثة خراف معا ثم جعل احد رجاله يتعلق في أسفل الخروف الاوسط واطلق الخراف خارج الكهف ، فكانت كلما مرت بالسيكلويس لم يجد أثرا لاعدائه. وهكذا تخلص يوليس من قبضة السيكلويس ومن كهفه ، وواضح ان وسيلته في التخلص كانت في **استخدامه لعقله** .

اما في سياحة الحاج فاننا نجد المسيحي وصاحبه الراجي يقعان في قبضة الجبار « الميئس » ويسجنهما في قلعة الشك ، ثم يعذبهما كل ليلة بايحاء من زوجته « المومسة » وهما يستطيعان الخلاص اخيرا ،ولكن بغير طريق العقل ، « وقبل انشقاق الفجر بقليل تنبه المسيحي وقال : ويلي . لقد لبثنا هذه الايام في هذا السجن تحت هذه الشدائد ، وغفلنا عن مفتاح الوعد الذي معي وهو ــ كما ارجو ــ يفتح كل باب في هذه القلعة . . فأخرج المسيحي ذلك المفتاح واخذ يعالج به باب السجن حتى اداره في القفل واذا به قد انفتح بسهولة فخرجا وهما يصفقان فرحا ، وكان امامهما قبل الوصول الى دار القلعة باب آخر فعمد اليه المسيحي بمفتاحه فكان اسهل فتحا. وكان للقلعة باب حديدي صعب المرام ولم يكن لهما مجاز منه ، فأتاه المسيحي باسم الله فلم يمتنع عليه » . . ولرب قائل يقول ان خلاص البطل تم بطريقة خارج نطاق القوة الانسانية ، ولكننا اذا ادركنا ان قصة سياحة الحاج كلها في المستوى الرمزي ، تبين لنا ان وسيلة الخلاص هنا ــ وهي مفتاح الوعد ــ ليست الا رمزا للايمان الذي به استطاع المسيحي وصاحبه الخروج من قلعة الشك ، ولا ريب ان الايمان هو احدى وسائلنا الانسانية في التغلب على ما نلقاه من عقبات .

اما في قصة علي الزيبق فنحن نجد انه ذهب الى المدينة المرصودة ليحضر صندوق التواجيه بحسب شروط خصمه صلاح الدين اذا هو أراد ان يأخذ منه منصب رياسة الشرطة في مصر ، وعندما ذهب الى تلك المدينة واستطاع ان يحصل على الصندوق حسده ملكها ، فخدعه هو وزميله ابن الحصري وادخلهما القلعة المرصودة بدعوى التفرج عليها ، ثم اغلق عليهما ابوابها وعاد الى ابنته مسرورا يخبرها بما فعله وانه بذلك استولى على الصندوق . وظن ابن الحصري ان هذه هي نهايته ونهاية الزيبق حتى انه بكى ، ولكن الزيبق نهاه عن ذلك ، وجعلا يتجولان في القلعة ، حتى عثرا على السيف المرصود الذي كان يستعمله الحكيم الذي بنى هذه القلعة ، ومن يستخدمه يستطيع ان يضرب به ما شاء من الجن والانس .

وعند انتصاف الليل اقبلت ابنة الملك وفتحت باب القلعة ، وكانت قد اخذت معها مفتاحها بعد ان نام ابوها، واخرجتهما وانقذتهما . وكان الزيبق قد انقذها من قبل من بين ايدي جماعة كانوا قد خطفوها ساعة وصوله ابواب المدينة المرصودة ، فأحبته لشجاعته وشهامته حتى انها عرضت عليه فيما بعد ان يتزوجها وان يكون هو حاكم تلك البلاد ، وهكذا نجد ان البطل المصري خرج من سجنه هذه المرة عن طريق الحب .

ويتكرر الحب كوسيلة تنقذ البطل في كثير من ادبنا الشعبي ، لا سيما في قصة ابو زيد الهلالي ، عندما سجنه الزناتي خليفه هو ورفاقه ــ يحيي ومرعي ويونس ــ وساقهم الى المشنقة بتهمة التجسس . فقد وقع نظر سعدى بنت الزناتي على مرعى ، فاخذت لجماله واحبته ، فاسرعت الى ابيها بالشفاعة في امر هؤلاء الغرباء ليسجنهم سجنا مؤبدا بدلا من اعدامهم ، فاستمع والدها الى رايها نظرا لمحبته الشديدة لها .

واخذت سعدى تتردد على مرعي في سجنه كل ليلة في خفية عن ابيها وقومها ، فكشفت له غرامها به وحبها له ، واحتالت عند ابيها لخروج ابي زيد على اعتبار انه عبد لا قيمة له ولا خطر منه نظرا للونه الاسود ، وهكذا يطلق سراح ابي زيد ، ولاتمضي فترة حتى يرجع من ورائه جموع هلال وسليم لحرب الزناتي . وعندما طالت الحرب بين الفريقين ضجرت منها سعدى ، حتى أنها اتصلت بالهلاليين ودلتهم على اسرار ابيها الحربية ، وانبأتهم بان مصرعه لا يكون الا على يد دياب بن غانم كما اخبره بذلك العرافون ، فكان هذا مما ساعد الهلاليين على ادراك غرضهم من الزناتي وظفرهم به وبملكه .

وتحول الادميين الى حيوانات امر شائع في هذه القصص ، ففي الاوذيسا نجد ان سيرسيه الساحرة قد حولت اصحاب يوليس الى خنازير بعد ان اطعمتهم طعاما مخلوطا بعقاقير من شأنها ان تنسيهم وطنهم ، وبعد ان ضربتهم بصولجانها . وتحولهم على هيئة خنازير لم يفقدهم عقولهم الانسانية . ولم ينقذ يوليس من المصير نفسه الا الاله هرميس ، فان ايريلوخوس الذي رفض ان يأكل مما اكل رفاقه ذهب الى يوليس في سفينته يخبره بما حل برجاله ، فذهب يوليس لانقاذهم ، وفي الطريق قابله هرميس واعطاه عشبا سحريا يحميه من الضرر . وبذلك لم تستطع سيرسيه ان تنتصر عليه وتحوله عن هيئة الادمية ، وطلب هو بدوره ان تعيد رجاله الى انسانيتهم فرضخت له .

واقامه يوليس مع سيريسيه مدة عام كامل بعد ذلك توضح لنا ان البطل لا يتعرض لمآزق مخيفة فحسب بل ايضا لاغراءات تعوقه عن مواصلة رحلته ، وعليه ان يقاوم هذه ايضا كما يقاوم الاخرى والا ضاعت كل جهوده ، ولهذا عندما عرضت ابنة ملك المدينة على الزيبق ان يتزوجها وان يكون حاكم البلاد ، اعتذر لها بلباقة قائلا « لا يمكنني فرقة امي والاوطان ، وانت قد صرت بعهد الله اختي ، وانا لا بد لي من الرحيل نهار غد » .

وهكذا نجد ان مازق الاغراء التي تعطل البطل لا تقل عن مآزق التهديد ، وان حسن التخلص وقوة الارادة وتصميم البطل على مواصلة رحلته هي الوسائل الانسانية البطولية التي بها يتخلص من مثل هذا المأزق ، بل ان البطل قد يلجأ الى الحيلة هنا مرة اخرى ، كما فعل يوليس حين مر

بالسيرين ، هؤلاء الالهات السمك اللاتي يغرين البحارة باصواتهن الجميلة ، فاذا اقتربوا منهن افترسنهم . فقد اراد يوليس ان يستمتع باصواتهن الساحرة من غير ان يقع في شراكهن ، فامر بحارته ان يضعوا الشمع في اذانهم من دونه وان يقيدوه في السفينة ولا يصغوا الى اية اوامر او توسلات منه حتى يتجاوز هؤلاء السيرين . وبذلك نجا يوليس من هذا الاغراء المهلك .

وفي سيرة على الزيبق نجد ان البطل يتحول بالفعل الى حيوان مع اصحابه ، وذلك حين حوله عزرو اليهودي ملك مدينة صفد الى بغلة ، ولم تكن وسيلة الساحر هذه المرة العقاقير والصولجان ، ولكن كانت وسيلته الى ذلك طاسة من الماء قرأ عليها الاسماء ورشها على الزيبق ، وعندما اتى اصدقاؤه لانقاذه حولهم بدورهم الى حمير . وكان الخلاص هذه المرة على يد قوة غير انسانية ايضا هي ودعة بنت الملك الازرق احد ملوك الجان واخت علي الزيبق في عالم الجن . فقد افهمت امه فاطمة كيف تسرق طاسة عزرو وتضع فيها ماء وتكرر اسم الله العظيم وترش بها اخاها ورفاقه فيرجعون الى ما كانوا عليه . وبهذا تخلص البطل ورفاقه ، بل لقد استطاعت فاطمة بهذه الطاسة نفسها ان تحول عزرو الى بغلة يقتلها على الزيبق فيما بعد .

وفي السفرة الرابعة من سفرات السندباد نجد ان رفاق السندباد الذين نجوا معه على جزيرة العراة قد تحولوا الى حيوانات تشبه الابل عن طريق طعام قدمه لهم هؤلاء العراه كما قدمت سيريسيه لرفاق يوليس ، ولم ينقذ السندباد انه ولا جنية بل مجرد عدم وجود شهية لديه الى هذا الطعام « فلما اكل اصحابي من ذلك الطعام ذهلت عقولهم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد ، فعند ذلك احترت في امرهم وصرت اتأسف عليهم وقد صار عندي هم عظيم مرده الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا وقد تأملتهم فاذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول ، وكل من وصل الى بلادهم او راوه في الوادي او الطرقات يجيئون به الى ملكهم ويطعمونه ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتسع جوفه لاجل ان يأكل ويذهل عقله وتطمس فكرته ويصير مثل الابل فيزيدون له الاكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن ويغلظ فيذبحونه .. وقد صار اصحابي من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم ، وقد سلموهم الى شخص فصار يأخذهم كل يوم ويخرج يرعاهم في تلك الجزيرة مثل البهائم ، فلما رأوني على هذه الحال تركوني ونسوني ولم يتذكرني منهم احد ولا خطرت لهم على بال الى ان تحايلت يوما من الايام وخرجت من ذلك المكان » .

وهكذا نجد ان تخلص السندباد من مصير رفاقه اولا ثم من جماعة العراة ثانيا لم يتم عن طريق غير انساني كما حدث مع يوليس او الزيبق ، ولا حتى باعمال العقل او عن طريق الايمان او المحبة ، بل بما يمكن ان نسميه الصدفه . الصدفه التي جعلته لا يأكل هذا الطعام ، والصدفة التي جعلت هؤلاء العراة ينسونه . وتخلص البطل عن طريق الصدفه ليس امرا كثير الحدوث في هذه القصص كما قد يتبادر الى الذهن طالما ان هناك الهة او قوة جسدية متفوقة يمكن ان تتدخل في اية لحظة . ولكن يبدو ان الصدفة ما تزال احدى الوسائل الاخيرة التي تخلص البطل لكي يستمر في نضاله .

والصدفة هي وسيلة التخلص الوحيدة التي يمكن ان تكون انسانيه ويمكن ان تكون غير انسانية ، طبقا لنسبتها الى احداث القصة وموضعها من هذه الاحداث ، فاذا تكررت مثلا بشكل مبالغ فيه احسسنا ببعدها عن عالمنا الانساني ، اما اذا وقعت من حين لاخر على النحو الذي تقع به في حياتنا العادية ، فانها تظل في نطاقنا الانساني .

— ٣ —

والواقع انه بقراءة الملاحم والقصص الشعبية وامثالها نجد انها تتشابه في كثير مما يلقاه البطل من اهوال ومغريات وفي طرق التخلص منها ، حتى لنتساءل هل هناك صلة بين مؤلفي ورواة هذه الملاحم بحيث اخذ بعضهم عن الاخر ، او ان الظروف التي مرت بها الشعوب متشابهة بحيث انعكست في انتاج ادبي متشابه ، وهذه هي احدى القضايا الجديرة بالبحث والتمحيص والتي تنتظر الوصول فيها الى نتائج ايجابية محدده .

ورغم ان ذلك ليس موضوع مقالنا ، الا اننا نحب ان نشير الى ان المستشرقين قاموا بمحاولات لرد ما جاء في قصص الف ليلة وليلة من معلومات جغرافيه واجتماعية الى اصولها ، وقد قام الدكتور حسين فوزي في كتابه « حديث السندباد القديم » بجهد مشكور في ابراز آراء هؤلاء المستشرقين ، لا سيما فيما يتعلق بقصة السندباد البحري فهو يحاول أن يفسر تغير عقول اصحاب السندباد بانهم اكلوا حشيشا او خليطا من الحشيش والداتورة والافيون والخريق والبنج «حديث السندباد القديم ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٣ ـ صفحة ٣٠٧ » ويذكر مصادر جاءت فيها روايات عن قوم يأكلون البحاره الضالين ، وعن قصص مشابهه وردت في كتاب « عجائب الهند » وفي كتابي « عجائب المخلوقات » و « آثار البلاد» للقزويني .

ولنضرب مثلا اخر على ذلك حتى يتضح ما نثير من اشكال . فنحن اذا قرأنا قصة يوليس في كهف السيكلوبس وجدنا ان طريقة تخلصه من هذا الوحش نصف الاله تطابق تمام المطابقة الطريقة التي تخلص بها السندباد البحري من مآزق مماثلة .

ولنلاحظ اولا ذلك التشابه العريض بين القصتين ، ذلك ان كلامنهما قصة بحرية تدور حوادثها في البحار وعلى شطئانها وجزرها وتتفاعل مع ما بها من مخلوقات وانواء والفرق بينهما هو ان بو زيدون اله البحر هو الذي فرض على يوليس التجول في البحار منذ فقأ عين ابنه السيكلوبس ، ولكن يوليس لا يستسلم لما فرضته عليه الالهة بل هو يقاوم ويناضل حتى يصل الى وطنه .

اما السندباد فكان يرفض بعد كل رحلة ان يستقر لانه يفضل المغامرة : « وقلت لروحي يا سندباد يا بحري انت لم

تتب ، وكل مرة تقاسي فيها الشدائد والتعب ولم تتب عن سفر البحر ، وان تبت تكذب في التوبة ، فقاس كل ما تلقاه فانك تستحق جميع ما يحصل لك » .

واذا قارنا تفاصيل القصتين نجد ان السندباد تخلص من الشيخ الاسود بان فقأ عينيه بسيخين من الحديد كما فقأ يوليس عين السيكلويس بالعصا . يقول السندباد « ان الاسود اخذ واحدا منا وفعل مثلما فعل بسابقيه واكله ونام على المصطبه وصار شخيره مثل الرعد ، فنهضنا وقمنا واخذنا سيخين من حديد من الانسياخ المنصوبة ووضعناهما في النار القوية حتى احمرا وصارا مثل الجمر وقبضنا عليهما قبضا شديدا وجئنا بهما الى ذلك الاسود وهو نائم يشخر ووضعناهما في عينيه واتكأنا عليهما جميعا بقوتنا وعزمنا فادخلناهما في عينيه وهو نائم فانطفأتا . »

بل ان نهاية القصتين واحدة فبعد ان نجا يوليس من السيكلويس اسرع الى مركبه واقلع ، ونادى على السيكلويس يتندر به ، فاقتلع العملاق الاعور قطعة من جبل والقاها في البحر فأخطأ السفينة ، وواصل يوليس سخريته وعرفه بنفسه فاقتلع السيكلويس صخرة اخرى والقاها على سفينة البطل اليوناني دون جدوى .

اما في قصة السندباد فنحن نجد ان الغول الاسودبعد ان انطفأت عيناه « خرج من القصر » وراح الى حال سبيله وهو يدور علينا ، ثم انه رجع ومعه انثى اكبر منه واوحش خلقة ، فلما رايناه والذي معه افظع حالا منه ، خفنا غاية الخوف ، فلما رأونا اسرعنا ونهضنا ففككنا الفلك الذي صنعناه ونزلنا منه ودفعناه في البحر ، ومع كل واحد منهم صخرة عظيمة ، وصاروا يهاجموننا الى ان مات اكثرنا من الرجم وبقي منا ثلاثة اشخاص انا واثنان » .

ويرجح الدكتور حسين فوزي ان يكون صاحب قصة السندباد قد سمع طرفا من حكايات يوليس ، فقد جاءذكر هوميروس في كتاب ابي الريحان البيروني في « الاثار الباقية » ومن الثابت ان توفيلوس الرهاوى رئيس الفلكيين في بلاط المأمون ترجم ملاحم هوميروس الى السريانية . ثم يورد الدكتور فوزي روايات يؤيد بها ترجيحه حتى يقول « ربما كان الاقرب والمعقول ان تكون القصة قد انتقلت من اليونان الى العرب اما مباشرة ، واما عن البهلوانية او السريانية « حديث السندباد القديم صفحة ٣١٨ » .

وعندما ركب شيخ البحر كتفى السندباد ليلا ونهارا وهو يبول ويغوط فوقها ، تخلص منه بحيلة قريبة ايضا من حيلة يوليس عندما تخلص من السيكلويس بان اسكره ،يقول السندباد بل هو تنقل ــ اشبه بالتخبط ــ في مكان محدود ان جئت به يوما من الايام الى مكان في الجزيرة فوجدت فيه يقطينا كثيرا ومنه شيء يابس ، فاخذت منه واحدة كبيرة يابسة وفتحت راسها وصفيتها « ثم اتجهت » الى شجرة العنب فملاتها منها وسددت راسها ووضعتها في الشمس وتركتها مدة ايام حتى صارت خمرا صافيا وصرت كل يوم اشرب منه لاستعين به على تعبي من ذلك الشيطان المريد ، وكلما سكرت منه تقوى همتي . فنظرني في يوم من الايام وانا اشرب ، فاشار لي بيده : ما هذا ؟ فقلت له هذا شيء مليح يقوي القلبْ ويشرح الخاطر ، ثم اني جريت به ورقصت بين الاشجار وحصل لي نشوة من السكر ، فصفقت وغنيت وانشرحت . فلما راني على هذه الحال اشار لي ان اناوله يقطينه ليشرب منها فخفت منه واعطيتها له فشرب ما كان باقيا فيها ورماها ــ على الارض وقد حصل له طرب فصار يهتز على اكتافي . فلما علمت بسكره وانه غاب عن الوجود مددت يدي الى رجليه وفككتهما من رقبتي ثم مات به الى الارض والقيته عليها .. ثم اني خفت ان يقوم من سكره ويؤذيني واخذت صخرة عظيمة من بين الاشجار وجئت اليه فضربته على رأسه وهو نائم فاختلط لحمه بدمه . »

وقد اوردت النص كما ورد في الف ليلة لكي اوضح ان السندباد لم يدبر امر خلاصه على النحو الذي دبره يوليس ، فهو ما صنع الخمر الا ليستعين على تعبه وهو ما أعطاه شيخ البحر بعد ان اغراه بها كما فعل يوليس بل خوفا منه ، ولكن النتيجة كانت واحدة في الحالين وهي العدو الذي ثمل حتى غاب عن الوعي مما اتاح للبطل ان يتخلص من مأزقه .

✶

وفي القرن العشرين اختفت نهائيا مساعدات القوى الخارقة لانقاذ البطل ، وحل تسلحه محل القوة الجسدية المتفوقة. وفي المجتمع الصناعي الغربي على الاقل لم تعد الرحلة تستغرق عشر سنوات كما فعل يوليس ، بل هي قد تستغرق ثماني عشرة ساعة وخمسا واربعين دقيقة كما فعل مستر بلوم بطل جيمس جويس في ملحمته الحديثة يوليس . وبينما نجد بنيلوب تنتظر في وفاء زوجها وتمتنع على خطابها نرى مسز بلوم تخون زوجها خيانة متصلة وتصطفى العشاق في اسراف يدهش اهل المدينة . وبعد أن كانت الرحلة في العالم الخارجي اصبحت رحلة داخلية في نفس الانسان اساسها التذكر واجترار الاحداث .

و « ك » بطل كافكا في روايته القلعة يريد ان يثبت انه مساح الارض الجديد الذي تطلبه القلعة موظفا بها ، وهو لا يستطيع ان يدخل القلعة الا بعد ان يثبت صحة وظيفته ، ويتطلب منه ذلك اياما وشهورا يختلط في اثنائها باهل القرية القريبة من القلعة ، متنقلا ما بين فندق واسرة ومدرسة، وهو يحب فريدا لكنه لا يستطيع ان يتزوجها لانه بغير وظيفة . فالكفاح هنا من اجل اوليات الحياة : الوظيفة والبيت ــ والكفاح هنا لم يعد يتخذ الرحلة رمزا له كما في الاوديسا او في سياحة الحاج او في على الزيبق او في السندباد بل هو تنقل ــ اشبه بالتخبط ــ في مكان محدود ولم تعد هناك كهوف او جبابر بل تعقيدات روتينية لا نهاية لها ، ولم يعد البطل قادرا على الوصول الى هدفه سواء عن طريق العقل او الايمان او المحبة او حتى بمجرد الصدفة .

القاهرة — **يوسف الشاروني**